

تفسير ابن كثير

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنَّا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْمَحْرَبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

يخبر تعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - بأنهم وصفوا الله عز وجل وتعالى عن قولهم علوا كبيرا ، بأنه بخيل . كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء ، وعبروا عن البخل بقولهم : (يد الله مغلولة) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الطهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس : (مغلولة) أي : بخيلة . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (وقالت اليهود يد الله مغلولة) قال : لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة ولكن يقولون : بخيل أمسك ما عنده ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وكذا روي عن عكرمة وقتادة والسدي ومجاهد والضحاك وقرأ : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)]

الإسراء : 29] . يعني : أنه ينهى عن البخل وعن التبذير ، وهو الزيادة في الإنفاق في غير محله ، وعبر عن البخل بقوله : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) . وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله . وقد قال عكرمة : إنها نزلت في فنحاص اليهودي عليه لعنة الله . وقد تقدم أنه الذي قال : (إن الله فقير ونحن أغنياء) [آل عمران : 181] فضربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : قال رجل من اليهود يقال له : شاس بن قيس : إن ربك بخيل لا ينفق ، فأنزل الله : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقد رد الله عز وجل عليهم ما قالوه ، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه واثفكوه ، فقال : (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) وهكذا وقع لهم ، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم ، كما قال تعالى : (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله] فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا [] (النساء : 53 - 55] وقال تعالى : (ضربت عليهم

الدلة [أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس] (الآية [آل عمران : 112]
ثم قال تعالى : (بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء) أي : بل هو الواسع الفضل ،
الجزيل العطاء ، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه ، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه
وحده لا شريك له ، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه ، في ليلنا ونهارنا ، وحضرنا
وسفرنا ، وفي جميع أحوالنا ، كما قال [تعالى] (وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلم كفار) الآية [إبراهيم : 34] . والآيات في هذا
كثيرة ، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن
منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن يمين
الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات
والأرض ، فإنه لم يغيض ما في يمينه " قال : " وعرشه على الماء ، وفي يده الأخرى
القبض ، يرفع ويخفض " : قال : قال الله تعالى : " أنفق أنفق عليك " أخرجاه في
الصحيحين ، البخاري في " التوحيد " عن علي ابن المديني ، ومسلم فيه عن محمد بن
رافع وكلاهما عن عبد الرزاق به . وقوله : (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك

طغيانا وكفرا) أي : يكون ما أتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم ، فكما يزداد به المؤمنون تصديقا وعملا صالحا وعلما نافعا ، يزداد به الكفرة الحاسدون لك ولأمتك (طغيانا) وهو : المبالغة والمجازرة للحد في الأشياء (وكفرا) أي : تكذبا ، كما قال تعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) [فصلت : 44]

وقال تعالى : (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) [الإسراء : 82] . وقوله : (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) يعني : أنه لا تجتمع قلوبهم ، بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائما لأنهم لا يجتمعون على حق ، وقد خالفوك وكذبوك . وقال إبراهيم النخعي : (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء)

قال : الخصومات والجدال في الدين . رواه ابن أبي حاتم . وقوله : (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) أي : كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها ، وكلما أبرموا أمورا يحاربونك بها يبطلها الله ويرد كيدهم عليهم ، ويحقيق مكرهم السيئ بهم . (ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) أي : من سجيتهم أنهم دائما يسعون في الإفساد في الأرض ،

والله لا يحب من هذه صفته .